المسرح الحكومى
من الفرقة القومية حتى فرقة المسرح الحديث (١٩٣٥م - ١٩٥٣م)

١. تكوين الفرقة القومية وأول إعانة حكومية للمسرح:

لا شك أنه بدخول يوسف وهبى ميدان المسرح.. شجع الكثيرين الدخول نفس الميدان.. بل أن الدولة بدأت تهتم بهذا الفن.. وكانت نتيجة لهذا وجهود زكى طليمات من جهة أخرى.. أن انشأ معهد التمثيل عام ١٩٣٠م .. وكان من بين أوائل الطلبة فيه أحمد البدوى أستاذ فن الإلقاء والذى تدرب على يديه الكثيرون من الممثلين الكبار من جيل حمدى غيث ونبيل الألفى وشكرى سرحان ونعيمة وصفى وسميحة أيوب حتى جيل فاروق الفيشاوى وتيسير فهمى وهناء ثروت ونبيل

نــور الدين وأول طالبة دخلت هذا المعهد كانت الفنانة زوزو حمدى الحكيم.. ولكن هذا المعهد لم يستمر سوى عامًا واحدًا أُغلق أبوابه بعدها.. بعد الحملة القيادية التى أثيرت حوله.. بأن هذا الفن بدعة من بدع الشيطان.. ولكن هذه الثورة لم تكن قوية كالماضى.. فسرعان ما هدأت الأصوات وسكتت. لدرجة أن زكى طليمات نجح بعدها فى إدخال المسرح إلى المدارس وتكوين المســرح المدرســى الذى مازال موجودًا حتى الآن..

المهــم أن الاهتمام بالمســرح بدأ يزداد بيــن المثقفين.. ويجد صداه لدى المســئولين.. ولما أغلق يوسف وهبى أبواب مســرحه وحاول الممثلون أن يتجمعوا فيما يُعرف باسم اتحاد الفنانين.. وفشــل هذا الاتحاد فشــلاً ذريعًــا.. لجأ الممثلون إلــى الدولة لترعاهــم وتحتضنهم.. وكانت قد شــكلت لجنة لتشــجيع التمثيل يرأسها ســكرتير وزارة المعارف.. فأرسل الممثلــون شــكوى إلى رئيس هــذه اللجنة لتتبناهــم الدولة( ).. وظلــت مســاعى الممثلين لدى المســئولين.. حتى صدر قــرار حكومى بإنشــاء الفرقة القومية فــى أكتوبر ١٩٣٠ وقد رصــدت الدولــة إعانة لهــذه الفرقة مقدارها خمســة عشــر

ألــف جنيه، وتعتبر أول إعانة حكوميــة للفرق التمثيلية( ).

وقــد عُين شــاعر القطرين خليل مطــران أول مدير لها.. وتشــكلت ثلاث لجان.. لجنة عليا للإشراف برئاسة الدكتور حافــظ عفيفــى وعضوية كل من الدكاترة طه حســين ومحمد حســين هيكل وأحمد ماهر والأســتاذ محمد العشماوى وكيل وزارة المعارف آنذاك.. ولجنة تنفيذية برئاسة الأستاذ محمد العشــماوى.. أما اللجنــة الثالثة فهى للقراءة وتشــكلت من الدكتور طه حسين والدكتور أحمد أمين والأساتذة عبد العزيز البشــرى وخليل مطران ومحمد عبد الرازق وخليل ثابت وهم أئمــة الأدب فى مصر آنــذاك.. وطبعًا هذا التشــكيل يوحى بالأعمال التى ستقدمها هذه الفرقة الوليدة.. بدون شك ستكون أعمــالاً عالية الفكر رفيعة المســتوى.. وقد انضم لهذه الفرقة الكثيــرون أمثــال جــورج أبيض – عزيز عيــد – أحمد علام – فتوح نشــاطى – زينب صدقى – فاطمة رشــدى – عزيزة أمير – زكى طليمات – ســراج منيــر – عبد العزيز خليل – روحيــة خالد – نجمة إبراهيم – فردوس حســن – وغيرهم.

وكانت أول مسرحية قدمتها الفرقة هى مسرحية «أهل الكهف» تأليف توفيق الحكيم وإخراج زكى طليمات وكان ذلك خلال شهر أكتوبر ١٩٣٦م وقد قُدمت هذه المسرحية على دار الأوبرا الملكية( ) مما يدل على اهتمام الدولة بهذه الفرقة الوليدة.. ولكن المسرحية لم تلاقى النجاح الجماهيرى المطلوب.. لأن ما يحتويه المسرح كان أعلى من مستوى الجماهير.. وكانت طفرة صعبة لم تستطع الفرقة من البداية اجتذاب الجماهير وعمل قاعدة لها.. ولكنها لاقت نجاحًا واهتمامًا من المسئولين.. وكان هذا فى رأيهم هو قمة النجاح.

٢. من الفرقة القومية إلى الفرقة المصرية:

كانت كل عروض الفرقة القومية على نفس مستوى عرضها الأول «أهل الكهف» مليئة بالفلسفات والأفكار والآراء.. مما يرتفع بها عن مستوى غالبية الجماهير.. ولم يكن التعليم قد نُشر فى البلاد وقتها مثل الآن.. وكانت مسرحياتها معظمها على مستوى لجنة القراءة أعلى كثيرًا من مستوى معظم المقبلين فما بالك بالآخرين؟ ، واعتبر الناس أن هذه الفرقة إنما هى فرقة تتعالى عنهم.. لذلك انصرفت الجماهير عن

الفرقة القومية.. رغم محاولتها العظيمة للارتقاء بفن التمثيل.. والمباريات بين عظماء المسرح فى الأداء المتقن العظيم.

وقد أخطأت الفرقة القومية فى عروضها خطأً رائعًا.. فهى تقدم روائع المسرح العالمى أمثال وليم شكسبير كالملك لير وتاجر البندقية.. وروائع المسرح اليونانى أوديب ملكا.. والمسرحيات العالمية الذى ذاعت شهرتها فى العالم كله مثل «آندروماك» و «مرتفعات ويذرنج» و «السيد».. وغيرها كما تقدم أعمال الأدباء الكبار فقط.. وباللغة العربية الفصحى.

وقد قدمت الفرقة القومية عروض موسمها الأول بدار الأوبرا ثم انتقلت فى الموسم التالى (٣٦ – ٣٧) إلى مسرح الأزبكية.. واتخذته مقرًا دائمًا لها منذ ذلك الحين حتى الآن.. وأن انتقلت فى عروضها بين مسرح الأزبكية ودار الأوبرا.

ولأن الفرقة القومية كانت قد تكونت من الممثلين والممثلات المختلفى الأمزجة ومن الفرق المختلفة.. لذلك وجدنا الصراع يدب بينهم فى محاولات للاستئثار بأدوار البطولة أو القيام بإخراج المسرحيات.. وكيف لا يحدث الصراع وفى الفرق القومية كم أمثال زكى طليمات وعزيز عيد

وجــورج أبيض وأحمــد علام.. وكانت بدايــة الخلافات فى شــهر مايو ١٩٣٦م أى فى موســمها الأول حول كتابة أسماء الممثلين والممثلات( ).. ثم تلا ذلك اســتقالة زكى طليمات.

وظلت الفرقة تتعثر ما بين الخلافات المستمرة والإيرادات القليلــة وعــدم إقبال الجماهير على عــروض الفرقة.. إلى أن جــاء عام ١٩٤٢م وتولــت وزارة الوفد الحكم.. وكان أن صدر قرار وزارى بحل اللجنة العليا لتشجيع التمثيل وإلغاء الفرقة القوميــة.. وقد أصدر هذا القرار عبد الحميد عبد الحق باشــا وزير الشــئون الاجتماعية فى ذلك الوقت والذى كانت تتبعه الفرقــة.. وقد أثار هــذا القرار حفيظة الكثيريــن.. وإزاء هذه الثورة صدر قرار جديد بإعادة تشــكيل اللجنة العليا برئاســة الدكتور محمد صلاح الدين وعضوية الأســاتذة محمد الشريف ويوسف ومحمد عبد الوهاب وزكى طليمات منها إعادة تكوين الفرقة الجديدة ووضع النظام الإدارى والفنى الذى ستسير عليه الفرقة وفعلاً تم إعادة تشكيل الفرقة تحت اسم الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى وعُين الأستاذ محمد حسن مديرًا عامًا لهذه الفرقــة خلفًا لشــاعر القطرين خليل مطــران.. كما عُين زكى

طليمات مديرًا فنيًا.. وكان من سياسة الفرقة الجديدة تقديم مسرحيات مصرية باللغة الدارجة إلى جانب المسرحيات المصرية الرفيعة شعراً ونثراً والمسرحيات العالمية لذلك وجدنا الفرقة الجديدة تقدم أوبريت شهرزاد لبيرم التونسى.. ثم مسرحية قطر الندى لعباس علام ومسرحية سلك مقطوع للدكتور وصفى عمر( ).. وكان لهذا التغيير أثره عند الجماهير التى بدأت تقبل على عروض الفرقة الجديدة.. حتى ولو كانت مسرحيات عالية المستوى.. ولا يمكن أن ننسى النجاح الهائل الذى لقيته المسرحية الشعرية «قيس ولبنى» التى بدأ عرضها فى ٤ نوفمبر ١٩٤٣م وهى أولى مسرحيات الشاعر الكبير عزيز أباظة على المسرح.. ولعل السبب المباشر فى نجاح هذه المسرحيات آنذاك هو تشكيل لجنة القراءة ومن بين أعضائها مخرجين وممثلين فى الفرقة.. وطبعًا لهؤلاء مفهوم يختلف عن مفهوم الكبار من الأدباء.. فنظرة المخرج والممثل فى النص أبعد نظرًا من الأديب.. لأن الأديب يهمه مستوى الكلمة وأثرها عند القارئ أما المخرج فيهمه كيف تؤدى هذه الكلمة على المسرح بحيث تحدث صداها على المتفرج.. فالقارئ عندما لا يفهم جملة قد يرجع إليها مرة

ومـــرات حتى يفهمها لأن الكتاب فـــى يده.. أما إذا لم يفهم المتفرج عبارة عن ممثل قد تشـــوش أفكاره طوال المســـرحية.

واســـتمرت الفرقة تقدم عـــروضها الناجحة ومن نجومها ســـراج منير – أحمد علام – أمينة زرق – روحية خـــالد – فاخـــر فاخر – منســـى فهمى – يحيى شـــاهين – فردوس حسن – حسن البارودى وغيرهم.. ولكن العروض الناجحة لم تستمر ســـوى موسميه بدأ بعدها الانحسار الجماهيرى نتيجة للخلافـــات التى عادت تدب بين أفراد الفرقة وكان أشـــهرها خلاف أحمد علام لتعيين يحيى شاهين بديلًا له فى مسرحية (مرتفعات ويزرنج) .. وكان أن استقال زكى طليمات من الفرقة وترك منصب المدير الفنى.. وذلك فى عام ١٩٤٥م ليحل محله يوسف وهبى فى إدارة الفرقة.. الذى عاد إليها بمسرحياته.. مما أثار حفيظة باقى أعضاء الفرقة واستمرت الصراعات وكان أن استقال يوسف وهبى عام ١٩٤٦م وعاد إليها زكى طليمات.

ولم تنتهى لعبة القط والفأر بين القطبين الكبيرين يوســـف وهبى وزكى طليمات فكما اعتبر زكى طليمات أن تولى يوسف وهبـــى الإدارة الفنية بدلًا منه فى عام ١٩٤٥م .. ظل يحارب

حتى نجح فى مضايقة يوسف وهبى وجعله يترك الفرقة فى ١٩٤٦م ليعود زكى طليمات مديرًا فنيًا لها.. كذلك اعتبر يوسف وهبى أن زكى طليمات وراء تركه للفرقة فظل يتحفز له حتى صدر قرار وزارى فى عام ١٩٤٨م بتعيين يوسف وهبى مديرًا عامًا للفرقة بدلاً من محمد حسن مديرها السابق.. وفعلاً بدأ مباشرة اختصاصاته من أول سبتمبر عام ١٩٤٨م وبدأ فى مضايقة زكى طليمات.. وانقسمت الفرقة إلى أحزاب.. حتى جاء عام ١٩٥٠م وكانت الخلافات على أشدها فكان أن حُلت الفرقة وأُعيد تشكيلها فى نفس السنة (١٩٥٠م) وأُسندت إدارة الفرقة إلى الشاعر عبد الرحمن صدقى وسُميت الفرقة «بالفرقة المصرية» .

ولكن يوسف وهبى لم يسكت.. واعتبر خروجه إهانة.. وانتهز فرصة قلة إيرادات عروض الفرقة.. فعرض أن يدير الفرقة لحسابه وأن يدفع للممثلين ٧٥٪ من أجورهم.. علاوة على مرتباتهم التى تدفعها اللجنة العليا.. وعاد يوسف وهبى لإدارة الفرقة فى أواخر عام ١٩٥٠م واستمر مديرها حتى وقع حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢م فانسحب من الفرقة

فى شـــهر فبرايـــر ١٩٥٢م وحل محله الدكتور فؤاد رشـــيد.

وعادت الصراعات إلى الفرقة بعد خروج يوســف وهبى.. ولــم يســتطع فؤاد رشــيد مقاومة هــذه التيارات فانســحب ليتولــى إدارة الفرقــة بعــده محمد الشــريف إلــى أن قامت ثــورة يوليــو ١٩٥٢م .. فتم تعيين جورج أبيــض مديراً عاماً للفرقــة فى ١٩ ســبتمبر ١٩٥٢م ولم يســتطع جورج أبيض مقاومــة هــذا التيار الجارف فاســتقال فــى ٤ يونيو ١٩٥٣م .. وفى نفس الشــهر تم حل فرقة المســرح الحديث.. وكان أن تشــكلت لجنة برئاســة الإرشــاد القومى وعضوية يوسف وهبــى وتوفيق الحكيم ووجيه أباظــة وعبد الرحمن صدقى.. وأصــدروا قراهم بحــل الفرقتين المصرية والمســرح الحديث وضم الفرقتين فى فرقة موحدة ذات شــعبتين أســموها الفرقة المصرية الحديثة.. وتم تعيين يوســف وهبى مديرًا عامًا لها.

٣. زكــى طليمــات مــن معهــد التمثيــل إلى المسرح الحديــث:

كان زكى طليمات يؤمن بأن الدراسة يجب أن تسير جنباً بجنــب مع الموهبــة.. حتى يمكن إخــراج الفنان المتمكن..

لذلك كافح حتى أسس معهد التمثيل الأول عام ١٩٣٠م الذى أُغلق بعد عـام.. ولكن زكى طليمات لم ييأس.. وظل يناضل من أجل تحقيق حلمه.. وفى الأربعينات عاد يعرض فكرته.. وكانت الظروف قد تغيرت.. ونظرة المجتمع للفن قد تبدلت.. وكيـف لا ؟.. والدولة تحتضن فرقة مسـرحية وتنفق عليها.

وأثمـر نجاح زكـى طليمات فى عـام ١٩٤٤م عندما فتح معهـد التمثيل أبوابه ليسـتقبل أول دفعة التى تخرجت عام ١٩٤٧م .. وظـل باب المعهد مفتوحًـا من وقتها حتى يومنا هذا.. وبعد أن كانت الدراسـة مسائية صارت نهارية.. وبعد أن كان يعطـى دبلومًا أصبح الآن يعطـى البكالوريوس.. بل أن بعـض خريجيـه حصلوا علـى الماجسـتير والدكتوراه.. وتحول اسـمه من معهد التمثيل إلى معهد الفنون المسرحية.

ولقـد فكر زكى طليمات فى إنشـاء فرقـة تنافس الفرقة المصريـة.. وتكون له حـق الإدارة لها وحتى يبعد عن صراع القمة بينه وبين يوسـف وهبى.. وفعلًا نجح فى تكوين فرقة المسـرح الحديث فى عـام ١٩٥٠م بعد حل الفرقة المصرية وإعادة تشـكيلها.. وكان جميـع أعضائها من خريجى معهد

التمثيل أمثال: عبد الرحيم الزرقانى – حمدى غيث – زهرة العلا – سناء جميل – سميحة أيوب – نعيمة وصفى – نبيل الألفى – سعيد أبو بكر – نور الدمرداش – محمد السبع – برلنتى عبد الحميد.. وغيرهم.. ولقد أثبتت هذه الفرقة الوليدة أنها وُلدت عملاقة.. وفى أشهر قليلة نجح أعضاؤها فى اجتذاب الجماهير إليها.. ونالوا شهرة بسرعة كبيرة.. ومن ينسى أعظم العروض مثل: مسمار جحا – حورية فى المريخ – ست البنات، وشاركت الفرقة فى الكفاح ضد الاستعمار الإنجليزى فقدمت مسرحية «كفاح شعب» كما عرضت على دار الأوبرا عام ١٩٥٢م القصة الإنجليزية المقررة على طلبة الثقافة سنتها وكانت «قصة مدينتين» لشارلز ديكنز.. ورغم صعوبة تحويل الرواية إلى مسرحية إلا أنهم نجحوا فى تحويلها وعرضها عرضًا شيقًا.. جمع بين الفن والتعليم.

وفى عام ١٩٥٣م .. والفرقة فى قمة نجاحها صدر القرار بضمها إلى الفرقة المصرية وهكذا انتهت الفرقة العظيمة سريعًا.. ولم تترك لها الفرصة لتواصل طريق النجاح وكافح أعضائها كثيرًا حتى صاروا هم الآن نجوم المسرح القومى.